



سوسولوجية علاقة المؤسسة التعليمية بمجتمعها

إعداد

د/ علي موسى

دكتور بالمعهد العالي للدراسات التطبيقية

في الإنسانيات بزغوان، جامعة تونس

٢٠٢١ م



سوسيولوجية علاقة المؤسسة التعليمية بمجتمعها

مستخلص:

يُعدّ التّعاون بين العائلة والمؤسسة التّعليميّة ذا إستراتيجيّة مهمّة، تساعد المؤسسة التّعليميّة على مواجهة تحديات الألفية الثالثة، عندما تكون العائلة مطلّعة على مجهود المؤسسة التّعليميّة في تعليم أبنائها، فإنها تتفهّم أهدافها وتدعمها. ويؤكّد الباحثون الاجتماعيون على أهميّة تعاون العائلة مع المؤسسة التّعليميّة ودورها في تحقيق النّجاعة المدرسيّة. يرفع تعاون العائلة مع المدرّسين كثيرًا من قيمة التّأطير العام الذي يعيش فيه التلميذ، ويشكل صلة وصل الطّرفين، وقد يكونان مختلفين أو متقاربين إلى حدّ كبير، لكنهما يعملان على تحقيق هدف مشترك هو تنشئة الطفل اجتماعيًا وتربيته، لأنّ التناقض بينهما يعكس صدمات على شخصيّة الطفل، هذا ما يجعل تعاونهما ضرورة من أجل النّجاح المدرسي وشعور الطفل بالانتماء. إن الدّولة مهما قدّمت من إمكانيات ورصدت من إعتمادات ماليّة لايمكنها بمفردها مواجهة جميع احتياجات المؤسسة التّعليميّة التي يبقى التّعاون بينها والعائلة ضرورة للتقليل من ظاهرة الهدر المدرسي. الكلمات المفتاحية : التّعاون، التّأطير، النّجاح المدرسي، الهدر المدرسي.

Abstract:

Any cooperation between the family and the school is considered to be an important strategy helping the school to face the challenges of the third millennium. When the family is well informed about the school's efforts to educate their children, they will show understanding of their goals and provide the necessary assistance.

Many sociologists highlight the value of multifaceted family - educational institution exchanges and their contribution to educational effectiveness and academic success.

All those who belong to the field of the sociology of education agree that the harmony family environment and the school system has a primordial role in the supervision of the child and contributes enormously to the development of his personality and any disagreement between the two. alters the childish personality.

The family and educational institution relationship must be mutual and complementary. The state, whatever its financial capacity, is not always able to meet the material needs of the School.

The assistance of the family therefore becomes essential. The family - educational institution concordance considerably attenuates wastage.

Keywords: Cooperation, Supervision, Academic success, School dropout.

توطئة:

التربية في الأصل هي عملية اجتماعية يقصد بها دخول الفرد في ثقافة المجتمع وتأهيله وتزويده بها حتى يستطيع أن يندمج في مجتمعه. ويُعدّ التعاون بين العائلة والمؤسسة التعليمية، عاملاً مهماً يساعد المؤسسة التعليمية على مواجهة تحديات الألفية الثالثة، فعندما تكون العائلة مطلّعة على مجهود المؤسسة التعليمية في تعليم أبنائها فإنها تتفهّم أهدافها وتُدعمها (دون ديفيز ، ٢٠٠٠ ، ص ٩١). ويؤكد الباحثون الاجتماعيون على أهمية تعاون العائلة مع المؤسسة التعليمية ودورها في تحقيق النجاح المدرسية et (Dominique Glasman autres ,1992,p24) وهناك اتفاق بين كل الفاعلين على أن المؤسسة التعليمية والمجتمع عند تعاونهما يحققان دوراً فعّالاً في النجاح المدرسي وفي نمو عالم الطفل (Nadia Rousseau et Stéphanie Bélanger, [Direction], 2004, p 327).

إن تعاون العائلة مع المدرسين يرفع كثيراً من قيمة التّأطير العام الذي يعيش فيه التلميذ، ويشكل صلة وصل الطرفين؛ وقد يكونان مختلفين أو متقاربين إلى حد كبير، لكنهما يعملان على تحقيق هدف مشترك هو تنشئة الطفل اجتماعياً وتربيتة، ولذلك يعكس التناقض بينهما صدمة نفسية على شخصية الطفل. هذا ما يجعل تعاونهما ضرورة من أجل الطفل ولأجل شعوره بالانتماء. (Maroussia Raveaud, 2006, p165).

لقد كانت العلاقة بين المؤسسة التعليمية ومجتمعها معقدة وأخذت تزداد أهمية وتعقيداً نظراً لنمو المجتمعات الحديثة وتنوع هذه العلاقات.

ويرى منظرو التربية أنه ينبغي أن تكون العلاقة بين المؤسسة التعليمية والمجتمع ذات صفة تبادلية بمعنى على المؤسسة التعليمية أن توثق صلتها بمجتمعها كما ينبغي على المجتمع أن يوثق صلته بالمؤسسة التعليمية و من النجاعة أن يعمل لا كلّ منهما بمعزل عن الآخر.

على هذا الأساس سنقدم في هذه المداخلة العناصر التالية:

- وظائف المؤسسة التعليمية.
- المؤسسة التعليمية والضبط الاجتماعي.
- المؤسسة التعليمية والعائلة.
- العائلة والنجاح المدرسي.

١- وظائف المؤسسة التعليمية:

تعمل المؤسسة التعليمية على أن تُعرّف التلميذ على المجتمع الذي يعيش فيه ويتدرب فيها على الحياة الاجتماعية وهي مؤسسة أنشئت لتقوم بعدد الوظائف منها تطبيع أفرادها تطبيعا اجتماعيا يجعلهم أعضاء مندمجين في المجتمع، وتكسبهم المهارات الأساسية التي يستحقونها مستقبلا وتُعلم التلميذ اكتساب القدرة على مواجهة المتطلبات الاجتماعية وهذا يُملي على المؤسسة التعليمية أن تكون أنشطتها واهتماماتها مترابطة بين الأسرة والمجتمع (ثابت كامل حكيم، ومحمد ماهر الجمال، ١٩٩٧، ص ٣٠٣) . ويصبح الغرض من التعليم هو إعداد الفرد للمجتمع الذي يعيش فيه.

ولا يكون لهذا الإعداد نتائج إيجابية إذا لم نُهيئ كذلك المجتمع للأفراد الذين تُعدّهم المؤسسة التعليمية، فما تقدّمه المؤسسة التعليمية للطفل يجب أن يكون مقبولا اجتماعيا. ويرى منظرو التربية أنه لكي تنجح المؤسسة التعليمية في تحقيق وظائفها يجب أن يكون الإصلاح شاملا، ويتّجه إلى كل المؤسسات ذات الصلة بالمؤسسة التعليمية، التي يجب أن يكون لها كذلك تصور لمجتمع المستقبل وتعمل على تعليم الطفل بالطرق التي تُحدد تفاعله مع الآخرين عندما يكون كهلا وتُحدد دوره باعتباره مواطنا.

ومن بين وظائف المؤسسة التعليمية كذلك أن يتدرب فيها التلميذ على الممارسة الديمقراطية واتخاذ القرار والقدرة على التفكير والمبادرة والاختيار وأن يتدرب على كيفية استغلال وقت فراغه واكتساب الرغبة في التعلم المستمر. لكن ما نلاحظه في وقتنا الحاضر هو إلقاء المسؤولية كاملة على المؤسسة التعليمية لأن المؤسسات الأخرى وخاصة العائلة قد تعقدت مسؤولياتها بسبب عوامل كثيرة، وهذا أدى إلى أن: « يُلقى على المؤسسة التربوية عبء القيام بوظيفة الأسرة من حيث العناية بالطفل في النواحي المختلفة بالتالي تتراكم المسؤوليات على المدرسة وتتعطل وظائفها الأساسية » (محمد لبيب النجيجي، ١٩٨١، ص ٧٥-٧٦)، وتُصبح الصبغة الغالبة على التعليم هي المعارف من أجل الامتحانات والاهتمام بالمعلومات وإهمال المهارات، وهذا أدى إلى أن أنظمة التعليم أصبحت تشبه الآلات

الميكانيكية تلقف الناشئة كما تتلقف المصانع المادة الأولية مما جعل المؤسسة التعليمية يضعف ارتباطها بالحياة وانفصالها عن المجتمع، وهو مشكل تُعاني منه المؤسسة التعليمية، لأنها تقوم بعمليات تُسميها تعليماً لفترة من السنوات تطول أو تقصر ثم تقذف بهم إلى الخارج (عزت جودات، 1987، ص ١٣٥).

هذا ما جعل المؤسسة التعليمية تعرف العزلة ووسّع الهوة بينها وبين مجتمعها وحتى تكسب المراهنة على المجتمع يجب أن تصلح نفسها ومن ثمة وظائفها وكي تؤدي المدرسة وظيفتها على الوجه الصحيح يجب أن تراعي فيما تقدمه إلى الطفل من الناحية الاجتماعية، لأن المدرسة اليوم مازالت مسيجة بهذا النقص ومن بين: « أهم مواضع النقص في المدارس هو التباعد عن الحياة وعن أساليب مدرسة الحياة » (أبو خلدون ساطع حصري، ١٩٨٥، ص ٢٤٠).

فإذا أردنا أن تقوم المؤسسة التعليمية بوظائفها على أحسن وجه فلا بد أن تخفف من أعبائها وتشاركها المؤسسات الاجتماعية الأخرى، كما يجب أن يكون في المؤسسة التعليمية حياة اجتماعية وهذا يتعارض مع مدرسة اليوم التي مازالت تلهث ركضاً في سبيل إنهاء البرامج قبل الامتحانات والانكباب على إحصائيات غياب التلاميذ والتأخير الإقصاء من الدرس ووزنات الامتحانات، هذه الحياة المدرسية تقسد الجو الاجتماعي والثقافي والترفيهي والرياضي الذي تنمو فيه الصفات المستحبة للتلميذ والتي يجد فيها ضالته.

لكن اليوم أمام التغيرات العالمية بدأ الوعي والاقتناع بأن دور المؤسسة التعليمية لم يبق مجرد تقديم معرفة عامة وشاملة بل أصبحت لها مهمات جديدة من أبرزها تكوين الفرد الذي يمكنه أن يتجاوب مع تطور الحياة ومن ثمة: « المهمة الأساسية للمؤسسة التربوية تتمحور حول بناء الإنسان المواطن الذي يستطيع أن يتجاوب مع معطيات الحضارة وقيمتها المتجددة » (علي أسعد وطفه وعلي جاسم الشهاب، ٢٠٠٤، ص ١١٨).

وعليه أصبحت تطرح مطالب أساسية جديدة على المؤسسة التعليمية في هذا العصر كتحديث نفسها وإعداد جيل لمستقبل نجهله وهو ما يدفعها إلى كسب رهانات المستقبل (Marcel (Bataillon et autres , 1970, p 12).

فإن انحصرت وظيفة المؤسسة التعليمية اليوم في حشو أدمغة التلاميذ بالمعارف فإن اليوم وبحكم التطورات السريعة التي تعرفها المجتمعات المعاصرة أصبح زيادة على كسب التلميذ للمعارف والمهارات والعمل على إدماجه في المجتمع والمحافظة على العلاقات

الاجتماعية السائدة، ضرورة إعداده للمسؤولية في مجتمعات لم توجد بعد، مما لا شك فيه أن هذا الزهان يُعتبر من بين التحديات الجديدة والجديدة على المؤسسة التعليمية ويتطلب منها التعاون وتضافر الجهود مع مجتمعها المحلي.

٢- المؤسسة التعليمية و الضبط الاجتماعي :

تقوم المؤسسة التعليمية بوظيفة الضبط الاجتماعي فما تقدمه لا يجب أن يقتصر على معارف تفيد الفرد في ذاته، بل يجب أن يساعد الفرد على التكيف مع الحياة الاجتماعية ففيها يتلقن الطفل القيم والمعايير الاجتماعية التي تخدم التماسك الاجتماعي إضافة إلى تحصيله المعارف والعلوم التي تخدم تقدم المجتمع فيصبح للمؤسسة التعليمية دوراً أساسياً خاصة في الوصول بالطفل إلى المرحلة السوية وذلك بتدريبه على الحياة الاجتماعية وتخليصه من الصفات المناهضة للمجتمع وتشريبه للضبط الاجتماعي الذي يعني كل مظاهر السيطرة الاجتماعية على سلوك الأفراد المنتمين إلى المجتمع وما يتخذه المجتمع من وسائل ضاغطة تضمن اندماج وتكيف سلوك الأفراد مع ما يرضاه المجتمع من قواعد.

لقد بقيت المؤسسة التعليمية ذات أهمية كبرى في عملية الضبط الاجتماعي، وإلى جانبها نجد الأسرة نظراً للامتداد المؤسستين والتواصل بينهما، فالمؤسسة التعليمية والأسرة تُعلمان الطفل وتُعطيانه القوانين والسلوكيات التي من شأنها أن تضبط سلوكه الاجتماعي وتُعدّه إلى المجتمع الذي يعيش فيه.

تفرض المؤسسة التعليمية مثلاً أن يمارس التلاميذ وبالتدرج القدرة على ما سيقع لهم، وفيها يتعلمون أيضاً كيف يكونون مواطنين في المجتمع، وباختصار مؤسسة تعليمية موجهة نحو التماسك الاجتماعي (Hutmacher Watmacher, 2002, p 122) ، فداخل المؤسسة التعليمية يجب أن يتعلم الطفل تلازم الحرية والمسؤولية ووجود علاقة بين الحق والواجب ويتعلم احترام القانون واحترام الآخرين واكتساب السلوك الديمقراطي والسلوك المقبول اجتماعياً عن طريق التربية التي لها غاية أساسية وهي إدخال الأطفال في ثقافة المجتمع وإدماجهم فيها (Guy Coq et autres, 2001, p71)

إنّ للتربية مثلما أوضح تقدم علم الإجماع لها أثر في تحديد أفراد المستقبل ولها سلطة في نجاح المجتمع، لذلك يجب ربط أهداف التربية بأهداف مجتمعها، ومن ثمة على المدرسة أن تطور مهمتها، من مؤسسة تعليمية فحسب إلى أن تُصبح مؤسسة تربوية - اجتماعية ومتعددة الوظائف تعمل على تكوين الشخصية القادرة على مواجهة تحديات الحياة

الاجتماعية وأن تخرج من مجرد مكان للحشو المعرفي إلى « مكان يتزود فيه التلاميذ بطرائق الحياة المفيدة في المجتمع ومهاراتها المنتقاة » (أبو الفتوح رضوان، ١٩٩٤، ص ١٠).
فحينما تكسب المدرسة هذه الوظائف تصبح مؤسسة ضبط اجتماعي هامة ويتحسن مردودها ومردود تلاميذها، وإذا لم تُوفّر للناشئة هذه المقومات نجد ضعف ارتباط التعليم بالحياة وانفصال المؤسسة التعليمية عن المجتمع ومتطلباته لأنها ستركز على تلقين الناشئة المحتويات المعرفية وتسقط في منزلق "الانعزالية" الذي يقصد به « أن تقييم المدرسة الحواجز بينها وبين الحياة الاجتماعية » (عبد الله الرشدان، ١٩٨٤، ص ١٢٩)؛ فتضعف علاقة المؤسسة التعليمية بالعائلة وبالمجتمع المحيط بها وينعكس ذلك على التلاميذ فيكروهون المدرسة ويضيقون بالمدرسين وتتفشى الظواهر السلبية في المؤسسة التعليمية والمجتمع وخاصّة منها رفض الضبط الاجتماعي، وارتفاع ظواهر الانحراف لدى الناشئة.

فإلى أي مدى بلغت المؤسسة التعليمية مستوى من الضبط الاجتماعي؟

٣- المؤسسة التعليمية والعائلة.: حتى تُحقق المؤسسة التعليمية أهدافها التعليمية والتربوية يجب أن تكون لها علاقة تكامل وتواصل مع التّظيمات الاجتماعية الأخرى وأقرب المؤسسات جميعا إلى المؤسسة التعليمية هي مؤسسة العائلة، فلا بد أن تكون بينهما علاقة لاشتراكهما في وظيفة واحدة والمتمثلة في التربية والتنشئة الاجتماعية للطفل الذي هو موضع اهتمامهما، فحتى تتحقق هذه الوظيفة ينبغي التكامل بين المؤسستين، ويجب العمل على توفير كل الإمكانيات والجهود لتعاون المدرسة مع العائلة من أجل الطفل ولا يكون ذلك ممكنا إلا بانفتاح المؤسسة التعليمية على بيئتها وأن تُشجّع مشاركة الولي في أنشطتها وأن يكون فاعلا في الحياة المؤسسة التعليمية لأن تفتّح المؤسسة التعليمية على الحياة يرتبط بمشروع إصلاحها في القرن الواحد والعشرين.

بيداغوجيا نجد الرفض والتّنديد بالمؤسسة التعليمية التي تعيش عزلة عن مجتمعاها، وفي هذا تأكيد على أن خاصية المؤسسة التعليمية هي الانفتاح على مجتمعاها بل يجب أن تكون مكانا نجد فيه مقومات الحياة العائلية والاجتماعية مكانا يستقبل العالم الخارجي ويقع فيه التأثير المتبادل بينه وبين المؤسسة التعليمية.

يجب الاهتمام الكبير بالأولياء ويكون ذلك بإعلامهم وتوعيتهم بدورهم ولا يتوقف الأمر عند الإعلام فقط بل التأكد من مدى استيعابهم للمعلومة ومدى فهم الأولياء العمل المدرسي وكيف يكون.

فبإعلامهم وإحداث مناسبات لتشريكهم في الحياة المدرسية يُساهمون في النَّجاح المدرسي لأبنائهم واندماجهم في بيئتهم (Ana Benavente , 1993, pp 59-٦٠). و تصبح العلاقة بين المؤسسة التعليمية والولي أكثر وضوحاً وفعالية كما يجب على المؤسسة التعليمية أن تأخذ بالاتجاه اللامركزية في تسييرها في عديد الجوانب وهذا التوجه يُسهل ويشجع اشتراك الولي اشتراكاً فعلياً في شؤون المؤسسة التعليمية. لذلك يجب التفكير بجدية في هذه اللامركزية لأن دور الدولة يقتصر على التنظيم في هذه الحالة وتُصبح مجرد منظم ، وتقوّض جانب من سلطاتها إلى السلطات المحلية (Queiroz (J-M), 1995, p 96) ، فنجاح التعليم يفترض « تلاحماً واندماجاً مع الأوضاع والقضايا المحلية وتؤدي إلى التخفيف من سلطة الوزارات المركزية » (منير بشور، ١٩٨٢، ص ١٠٧).

فلا بد من إفساح المجال للمبادرات الشخصية بما فيها مبادرات الأولياء، فلا يمكن المؤسسة التعليمية أن تكون مركز إشعاع اجتماعي ما لم يكن أمر التعليم فيه مشاركة بين المجتمع والدولة، بل أصبح من الضروري أن تكون مسؤولة التخطيط والإشراف والتمويل أمراً مشتركاً بين الدولة ومؤسسات المجتمع المدني؛ وهذا ما يؤكد لنا أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به مؤسسات المجتمع وإشراك الأسرة والأولياء والجمعيات المؤثرة في البيئة المدرسية في تطوير العملية التعليمية و التربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٠، ص ٣٦).

ويرى منظرو التربية ضرورة أن تعمل المؤسسة التعليمية على بثّ روح التعاون والانفتاح على الولي والمراهنة عليه لأن الاعتماد الكامل على الدولة في ظل التحولات العالمية الاقتصادية يتعارض مع التحديات والإكراهات الجديدة التي في ظلها يجب على المؤسسة التعليمية أن تتمتع باللامركزية وبفتح المجال للمبادرات الخاصة وتأسيس علاقة شراكة مع المحيط الخارجي بل أكثر من ذلك يجب أن تقبل المؤسسة التعليمية حتى المنافسة من المحيط الخارجي، فإذا أردنا فعلاً الانفتاح على المجتمع المحلي والمراهنة على الولي فيجب العمل على تعزيز هذه الشروط وتوفير الظروف الملائمة لذلك.

٣-١- أهمية التعاون بين المؤسسة التعليمية والمجتمع

يجب ألا تختلف كثيراً طريقة معاملة التلميذ في المدرسة عن طريقة معاملته في المنزل ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق اتصال الآباء بالمدرسة. و على المرثي أن يفهم الخلفية الثقافية

والاجتماعية لبيئة المتعلمين، ولا يتم ذلك إلا عن طريق إنشاء علاقة وثيقة بين ما يدور في المؤسسة التعليمية ومؤسسة العائلة.

وقد تعجز المؤسسة التعليمية عن تأدية واجباتها بدون التعاون مع مؤسسة العائلة التي ينشأ فيها التلميذ والدولة مهما قدمت من إمكانات ورصدت من إعتمادات مالية لا يمكنها بمفردها مواجهة جميع احتياجات المؤسسة التعليمية (محمد عطوة مجاهد، ٢٠٠٨، ص ص ٥٢ - ٥٣) .

وحين تبقى وضعية التلميذ معلقة بين العائلة اللامبالية في غالب الأحوال بالعملية التعليمية، والمؤسسة التعليمية التي تعطي لنفسها دائما التبريرات أن ضعف كفاءتها متأتي من مجتمعتها، تكون النتيجة دخول المؤسسة التعليمية في مسلسل من الإكتئاب والضعف (محمد شرقي، ٢٠١٠، ص ١٦٦) ؛ وهذا هو حال المؤسسة التعليمية اليوم في الدول التي هي في طريق النمو ومنها المؤسسة التعليمية التونسية.

لكن مازال الجهاز الإداري في أغلب المؤسسات التعليمية غير قادرا حتى على القيام بوظائفه الإدارية وما يتطلبه من وظائف استثنائية في المؤسسة التعليمية لأنه ما يصدق على الإدارة بوجه عام يصدق كذلك على الإدارة بالمؤسسات التعليمية (عبد الله عبد الدائم، مرجع سابق، ص ٢٥٨). لذلك نلاحظ الكثير من الخدمات الإدارية مهدورة بسبب عدم توفر تنظيم إداري يستجيب إلى حاجيات التعليم وكم يكون الهدر مضاعفا عندما لا يتلقى التلميذ الإحاطة من الإدارة وتكون النتيجة هذر مدرسي لأن أغلب التلاميذ عندما يدخلون إلى المؤسسة التعليمية لأول مرة لهم حب الاستطلاع لكن بعد سنوات قلائل تموت عندهم هذه الغريزة أوتبقى ساكنة غير فعالة مما يوّد عندهم الملل الذي يؤدي إلى تبدل الذهن وتبدل الإحساس.

لذلك يبقى التأطير المدرسي والإحاطة بالتلاميذ ضروريين، لأن الولي والمجتمع يرجع دائما سبب ضعف التلاميذ إلى المؤسسة التعليمية ومن خلالها اتهام الأستاذ بأنه لم يستطع شدّ اهتمام التلميذ إلى الدرس وإلى المناخ السيئ السائد في الفصل والتأثير السلبي لبعض رفاق الدراسة (Genevieve Chobert – Menager, 1996, p78) ، ويصبح التأطير أكثر ضرورة خاصة بالنسبة إلى تلاميذ المرحلة الثانية من التعليم الاساسي لأنهم في مرحلة انتقالية وتتوّع المواد وكثرة المدرسين (Xavier Darcos et Philippe Meirieu, 2003, p86) حيث يصل عددهم الى أربعة عشر مدرّسا على خلاف المرحلة الأولى من التعليم الأساسي التي يتعاملون فيها مع ثلاثة معلّمين على أقصى تقدير. وهذا يؤكّد ضرورة التأطير المدرسي

للتلاميذ لمساعدتهم على النجاح في مسارهم الدراسي لأن التلميذ حسب جاك بان (Pain Jacques): « يستحسن للطفل أن يجد مكاناً داخل المدرسة يشبه مكانه داخل العائلة» (Pain Jacques, Paris 2001, p311)، فألتعلم يرغب في أن يجد نفس المعاملة من المربي والولي لوجود التداخل بين الواقع المدرسي والواقع العائلي لأنهما يتكاملان ويتداخلان اجتماعياً على حدّ تعبير جاك بان (Jack Bean) (Parentification of the school) بمعنى استدمج ثقافة الولاية (الولي) في تعامل المربين مع التلميذ. وكذلك يرغب المتعلم أن يقع الاهتمام بجوانبه النفسية والاجتماعية (علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب، مرجع سابق، ص ١٥١) التي هي أساسية حتى يحقق النجاح في مساره المدرسي، لأن ضعف الاهتمام بميولات التلاميذ ورغباتهم الشخصية والفروق الفردية بينهم (علي السيد محمد الشخبي، ٢٠٠٢، ص ٤٩).

وعدم تلقي التآطير العام داخل المؤسسة التعليمية، قد يؤدي إلى بروز الظواهر

التالية:

- ✓ غياب التلاميذ عن المدرسة.
- ✓ التأخر عن الدروس.
- ✓ العنف بين التلاميذ.
- ✓ الإقصاء من القسم.

وقد تبدو هذه الظواهر متفارقة اليوم بالمؤسسة التعليمية التونسية وتكون نتيجتها ارتفاع

ظاهرة الهدر المدرسي.

٣-٢ - التكامل بين العائلة والمؤسسة التعليمية يقلل الفاقد في العملية التعليمية

لئن حققت المؤسسة التعليمية نسب مرتفعة في التمدرس وأصبحت تعرف بمدرسة الكمّ فإنها تعرف بعض الصعوبات ذات الأثر السلبي على النظام التربوي ومن أخطر السلبيات التي صاحبت التوسع الكمي مشكلة الهدر المدرسي (School wastage) والتي من بين أسبابها الإلجارية غير المرافقة يمكن اعتبارها من أكبر التحديات المطروحة أمام المؤسسة التعليمية بعدما حققت رهان الارتفاع الكمي في نسب التمدرس.

والمقصود بالهدر التربوي هو حجم الفاقد من التعلم نتيجة الرسوب والانقطاع ويعتبر الهدر لصيقاً بالجوانب الاقتصادية والمالية. وينشأ الفاقد التعليمي عادةً من عدم متابعة الآباء لأبنائهم من حيث مواظبتهم وانتظامهم وتأديبة واجباتهم المدرسية كما ينشأ من اضطرابات

بعض المتعلمين وتعرضهم إلى الانقطاع لأسباب مدرسية واجتماعية وثقافية واقتصادية ، وإذا ما تحقق التكامل بين المؤسسة التعليمية ومؤسسة العائلة والمجتمع فإن أساليب الفاقد المدرسي تُصبح موضع بحث وذلك يمكن تدارك الهدر المدرسي قبل استفحاله وتعدّد الظاهرة .

بناءً عليه، وجدت عديد الدراسات تؤكد أهمية التّأطير التي يتلقاه التلميذ من المؤسسة التعليمية وضرورته حتى يحقّق النّجاح المدرسي وذلك من حسن استقبال التلميذ ومساعدته على التّأقلم وترغيبه في العمل واندماجه في مختلف الأنشطة المدرسية. وهذا ليس بالسهل بل يتطلب من الفاعلين داخل المؤسسة التعليمية أن يكون لهم تكوين غايتها مساعدة التلميذ ولعلّ أغلب المدرسين يفقدون لهذا التّكوين النّاجح وشبه بعض الباحثين هذه العملية بقصّة الطفلة الصغيرة ، قبل أن تدخل الطريق الشّاسعة داخل الغابة أخذت معها حبة حصّية وتلقي بها من ورائها لمعرفة طريق عودتها (Maurice Mazolto, 2005, p209) ، فألمسار المدرسي يشبه هذا الطريق داخل الغابة فلا بدّ من المساعدة والتّأطير المدرسي للتلميذ حتى لا يتعرض للهدر المدرسي.

٤- العائلة والنّجاح المدرسي: لا يعتبر علم الاجتماع الحديث المؤسسة التعليمية هي الأقوى في تكوين شخصيّة الطّفل، بل يعتبر كذلك الإطار الاجتماعي للطّفل والوسط العائلي لهما نفس الدّور (Marie Duru Bellat et Agnès Van Zanten,

1999, p 8) وتعتبر التّربية العائليّة لها صلة بالنّجاح المدرسي، فعندما يقع السّماع لأسئلة الأبناء في العائلة، وقبول ملاحظاتهم، وتوفير مناخ من الحبّ والإطّلاع والاستقلاليّة وعقليّة المبادرة ومواجهة المغامرة وتقوية النّقة بالنّفس والتّشجيع على قبول الآخر، يساعد هذا النّوع من التّربية على تكوين معرفي للطّفل وتنمية شخصيّته (Jean Houssaye, 1992,p35).

لكن مازالت الكثير من العائلات العربيّة تغرس: « قيما تسلطيّة تتنافى مع مقومات الوجود الإنساني (علي أسعد وطفة ، ٢٠٠٠، ٢٥ ص) ، لأنّ الثّقافة العربيّة تعتمد في تنشئة الطّفل عموماً على مبدأ الطّاعة للكبار، ممّا جعل الأسلوب التّربوي أسلوباً تسلطياً، يعمل على تعطيل طاقة النّمو، ويؤدّي إلى رفض التلميذ للمؤسسة التعليمية والتّعليم بشكل عام (المرجع السابق، ص ص ٢٧-٢٨).

لعلّ هذا الرّفص من بين أهمّ الأسباب التي جعلت ظاهرة الهدر المدرسي ترتفع بالمؤسسة التعليمية التّونسيّة. وإلى جانب هذا الأسلوب التسلطي، يوجد كذلك أسلوب الطّفل

المدلل، الذي يستغل إلى أقصى درجة تسامح الأبوين تجاهه ويصبح شقيًا، خاصة في المجتمع الاستهلاكي.

لذلك لعلّه من الأفضل على الأبوين أن يعلما أبناءهما، بذل الجهود والوقت اللّازمين لتلبية الرغبات، عسى أن يتعلم الطّفّل تحمّل الكبت قبل بلوغ الهدف، وأن لا يتعوّد على الحصول على كل شيء بسهولة، لأن هؤلاء الأطفال (غير المتسامحين) عندما تعترضهم صعوبات مدرسيّة يعجزون على تجاوز العراقيل (Nadia Rousseau et Stéphanie Bélanger, Op.cit, pp73-74) ويهربون إلى التّسرب المدرسي والقيام بسلوكات تعويضيّة مثل التّدخين، والمخدّرات والعنف.

يبدو أن النّجاح في المسار المدرسي، له صلة متينة بعلاقة العائلة بالعمليّة التّعليميّة، مع الأخذ بعين الاعتبار أحيانًا ذاتيّة الفرد وشخصيّةه (Rochex Jean – Yves, 1995,p21). ويبقى كذلك التّفكك العائلي له آثار سلبية على العمليّة التّعليميّة (اخليف يوسف الطراونة، ٢٠٠٤، ص ٢١٨).

كما بيّنت الرّاسات في المقابل أنّ المستوى التّعليمي العالي للأبوين، ومستواهما المهني والمستوى الاقتصادي للعائلة، لها الإسهام الإيجابي في مستوى التّحصيل الدراسي للأبناء (علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب، مرجع سابق، ص ص ١٤٤-١٤٨). ذلك لأن قدرات الولي تتدخّل في النّجاح المدرسي للأبناء، فكلمًا كان الولي مطّلعًا على متطلّبات الدراسة، كَمَا ساعد ابنه على النّجاح. لذلك فإن إطلاع الولي على البرامج، وأهداف المواد، يساعده على الوقوف إلى جانب ابنه، الذي هو في حاجة إلى السّند العائلي ، أمام الصّعوبات التي تعترضه في مساره الدراسي.

لقد هيمن التّقييم بمنظار العدد على النّجاح المدرسي، ويبدو أن كلّ الفاعلين في الجهاز التربوي وحتى وسائل الإعلام يعتمدون هذا المنظار، فألوي يُثمّن حصول ابنه على أعلى الأعداد ولو كان على حساب التّكوين وحتى بطريقة الغش (L. Pauli et M.A. Brimer, 1971,p74)، ويريد أن يراه يتدرج بسرعة وينجح بسرعة فائقة دون أي رسوب؛

لكن الجهاز التربوي من ناحية أخرى منظومة صلبة وصارمة ولها شروط محدّدة

(Daniel Zimmermann et Guy Vermeil [S/ Direction], 1987, p117).

وأمام رغبة الأولياء، وشروط الجهاز التربوي، عادةً ما يحمّلون الأولياء بوعي أو بغير وعي مسؤوليّة فشل أبنائهم إلى المدرّسين والمدرسة، فيتذمرون وينقدون الجهاز

المدرسي (Ismail Ameer, 1990, p12) ، لأن النجاح المدرسي صار رهانًا كبيرًا بالنسبة لأغلب الأولياء، وأصبحوا يتساءلون أكثر على سعادة أبنائهم، ومدى تجاوبهم مع المؤسسة التعليمية، ويطلبون منها أن تُعلمهم دون حرمانهم من التمتع بطفولتهم ومراهقتهم. لذلك أصبحت اليوم المؤسسة التعليمية مراقبة بانتباه شديد من كل الأولياء الذين يسلمون أبنائهم إليها بخليط من الأمل والحذر، وصار الأولياء يتدخلون أكثر من ذي قبل في الشأن التربوي (Cléopâtre Montan don et Philippe Perrenoud, 1994, p12) ، والحوار بين الولي والمؤسسة التعليمية، عادة ما يكون صعبًا وغير متساوٍ، لأن الولي يدافع عن مصالح ابنه ويراه من زاوية خاصة وعاطفية، وتتعامل المؤسسة التعليمية مع التلميذ باعتباره عنصرًا من مجموعة المفروض عليها معاملتهم بمساواة مع غيره وهو يدخل في إطار عمل دينامي جماعي.

وتبقى علاقة العائلة بأبنائها عاطفية مع شيء من الإفراط، وتفكر فيه وفي مستقبله خاصة أن نسبة الولادات في انخفاض. ولعلّ الخوف الدائم من الفشل المدرسي، يوازي القيمة العالية لعلاقة المؤسسة التعليمية بمستقبل الطفل، وسيطر على كل العائلات توجه رغبة الحصول على الشهادت، وضرورة اكتساب مستوى راقٍ يُخول لأبنائهم ضمان مكانة اجتماعية. قد يؤثر هذا الوضع على المؤسسة التعليمية، وأحدث انتظارات كبرى عند العائلة، وصعب مهمة المؤسسة التعليمية، خاصة أمام تراجع المؤسسات المدنية التي لها دور معاضد للمؤسسة التعليمية (Béatrice Compagnon et Anne Thévenin, 1995, p 167)

، التي هي في حاجة إلى مراجعة كل الفاعلين لأحكامهم المسبقة عليها ، والتي تقوم بعملية عرقلتها في علاقتها بالواقع (Philippe Choulet et Philippe Rivière, 2004, p 33). وعلى العائلة أن تراجع مواقفها تجاه أبنائها فتعلمهم الصبر والعمل والمثابرة، وتقبل نتائج أفعالهم، عسى أن يسهم ذلك في نجاح العملية التعليمية: « لأن المؤسسة التعليمية أول مكان يعرف فيه الطفل أن ما يرغب فيه لا يتحقق بسهولة » (Nadia Rousseau et Stéphanie Bélanger, Op.cit, p75)

لذلك على التلميذ أن يتعلم الرّدع الذاتي في المنزل، لكن أغلب المهمات أصبحت تتركها العائلة للمؤسسة التعليمية، ممّا صعب مهمتها وضاعفها.

خاتمة:

هناك اعتقاد اجتماعي عامًا مؤداه أن التربية والتعلم مسؤولية الدولة وليس العائلة والمنظمات والجمعيات والمؤسسات الاجتماعية.

ويرجع هذا الاعتقاد إلى خضوع النظام التعليمي للسيطرة الأجنبية مدة الفترة الاستعمارية، كما يرجع أيضا إلى خضوع التعليم الحديث إلى المركزية وسيطرة الدولة على التسيير والإشراف.

كما ارتبط هذا الاعتقاد عند أغلب الأولياء أن الحضور إلى المؤسسة التعليمية سوف يسبب لهم إحراجا، لأن الدعوة إلى المؤسسة التعليمية ارتبطت في أذهانهم بالشكوى، وعند حضورهم إلى المؤسسة التعليمية كل ما يسمعون هو توبيخ لما قام به أبناؤهم من أعمال مخلة بالنظام الداخلي للمؤسسة التعليمية، وهكذا فإن الكثير منهم لا يستطيع مواجهة الموقف وبالتالي لا يذهب إلى المؤسسة التعليمية ويتعمد حتى مقاطعتها.

ويحمل الأولياء انطبعا عن المؤسسة التعليمية نتيجة الظروف التي مرّوا بها عندما كانوا تلاميذ وكانت المؤسسة التعليمية تعمل بمعزل عن الأسرة تجعلهم يشعرون أن المؤسسة التعليمية قد عاشت أجيالا بعيدة عن الأسرة لن تستطيع تحقيق هذا الترابط إضافة إلى أن الاتصال بالمؤسسة التعليمية أمرا لا يتفق مع أعبائهم اليومية.

وهناك معوقات من جانب إطار التدريس فالكثير منهم يفضلون عزلة المؤسسة التعليمية عن مؤسسة العائلة وعن مجتمعها المحلي حتى يبتعدوا على النقد، كما أن انشغالهم بالدروس الخصوصية وأهتمامهم بتحسين مستواهم المادي جعلهم يرفضون التعاون مع الولي إلا فيما يخص تدريس ابنه الدروس الخصوصية، كما يعتقد إطار الإشراف والتسيير الإداري المديرين أن تشريك الولي في شؤون المؤسسة التعليمية سلبًا لبعض من سلطاتهم واختصاصاتهم.

أمام هذه المعوقات للتعاون بين المؤسسة التعليمية ومجتمعها تبقى العملية التعليمية والتربوية في حاجة ماسة للجهد والعمل المشترك بين المؤسسة التعليمية ومجتمعها، غير أنه قد لوحظ حدوث تراجع وتدهور شديد في الوظائف التربوية للبيت والمجتمع مما جعل المؤسسة التعليمية تعرف هوة مع مجتمعها مما أثر في المستوى التعليمي وتدهور النتائج وبرزت الظواهر السلبية غير المألوفة عند المتعلمين، فأصبح من الضروري أن نُعيد تأسيس وعي مشترك بأهمية علاقة المؤسسة التعليمية بمجتمعها.

مازالنا العديد من المعوقات تسيح التعاون بين مؤسسة العائلة والمؤسسة التعليمية، محدثة هوة تفصلهما عن بعضهما في أغلب المجتمعات العربية، ومنها المجتمع التونسي. وتوجد في المقابل مدارس حديثة في المجتمعات المتقدمة، التي سعت إلى ردم هذه الهوة (علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب، مرجع سابق، ص ١٥٠) ، عن طريق التكامل الحقيقي بين مؤسسة العائلة والمؤسسة التعليمية من خلال الإجراءات التالية:

- اعتماد كراس بين الولي والمربي، يسجل فيها كل الملاحظات من قبلهما، بخصوص سلوك ونتائج وأعمال التلميذ، وهذا يجعله يشعر بالتكامل بينهما وهو له تأثير إيجابي في سلوك ونتائج التلميذ المدرسية (Marie –Luce Chabauty, 2005, p73).
- تبعث بعض المؤسسات التعليمية إلى الولي البرنامج وطرق التقييم والأهداف المراد تحقيقها لدى التلميذ، ويساعد هذا الولي على متابعة ابنه والعمل على تحقيق الغايات المرجوة.
- تمد بعض المؤسسات التعليمية الأولياء بأرقام هواتف المدرسين وأعاون إدارة المدرسة وتمكينهم من الدخول إلى الموقع الإلكتروني للمؤسسة التعليمية، ودعوتهم إلى حضور بعض الحصص التعليمية واستغلال تطورات أفكار الاتصال التقني والعلمي.
- تشريك الأولياء والجمعيات والهياكل المحلية (البلدية) في الحصص الثقافية والفنية والرياضية والمساهمة حتى في العمل الإداري وقت الامتحانات.
- يقدم الأولياء أنشطة للتلاميذ حسب تخصصهم والقيام ببعض الرحلات.
- إعداد برنامج زمني يقدم فيه الأولياء مهتهم للتلاميذ ويجرون حوار معهم حول أنواع المهن وخصائصها.
- إقامة بعض المشروعات المشتركة بين الأولياء والجمعيات والمؤسسة التعليمية، مثل بعث مكتبة والقيام بتظاهرات تعزف ببيئة المؤسسة التعليمية وتقديم أكالات مناسبة للتلاميذ وفتح محل حلاقة للتلاميذ... إلخ (علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب، مرجع سابق، ص ١٥١).

لعلّه بمثل هذه الإجراءات تصل المؤسسة التعليمية إلى ردم الهوة بينها وبين مجتمعها وتؤسس التكامل الحقيقي مع مؤسسة العائلة ومجتمعها. لذلك لا بد للمؤسسة التعليمية من الانفتاح على الخارج وتحطيم

الجدران وإعطائها مناخًا يربطها بمجتمعها وخاصة بعائلات التلاميذ Alain Kerlan, (1998,p.22)

المراجع:

- بشور، منير (١٩٨٢) "اتجاهات التربية في البلاد العربية على ضوء استراتيجية تطوير التربية العربية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وحدة البحوث والإنتاج، تونس.
- جودات ، عزت (1987)، مدخل إلى التربية، ط ٣، عمان، دار الفكر.
- حكيم، ثابت كامل والجمالن، محمد ماهر (١٩٩٧)، في أصول التربية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- الرشدان، عبد الله ، (١٩٨٤)، علم الاجتماع التربوي، عمان، دارعمار للنشر والتوزيع .
- رضوان، أبو الفتوح (١٩٩٤) ،المدرس في المدرسة والمجتمع، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية
- ساطع، حصري أبو خلدون (١٩٨٥)، أحاديث في التربية والاجتماع، ط ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية .
- الشخبيي، علي السيد محمد (٢٠٠٢)، علم اجتماع التربية المعاصر: تطوره منهجيته تكافؤ الفرص التعليمية، ط ١، القاهرة ، دار الفكر العربي.
- شرقي، محمد (٢٠١٠) ، مقاربات بيذاغوجية : من تفكير التعلّم إلى تعلّم التفكير، الدار البيضاء، دراسة سيوبيداغوجية، أفريقيا الشرق.
- الطراونة، اخليف يوسف (٢٠٠٤)، أساسيات في التربية، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- مجاهد، محمد عطوة (٢٠٠٨) ، المدرسة والمجتمع في ضوء مفاهيم الجودة، الإسكندرية ، دار الجامعة الجديدة .
- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (٢٠٠٠)، التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، ط١، أبو ظبي.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،(٢٠٠٠)، مدرسة المستقبل، إدارة البرامج، المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم والمعارف العرب، دمشق.
- النجيحي، محمد لبيب (١٩٨١)، الأسس الاجتماعية للتربية، ط ٢، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
- وظفة، علي أسعد (٢٠٠٠) بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي، ط ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- وظفة، علي أسعد والشهاب، علي جاسم (٢٠٠٤)، علم الاجتماع المدرسي : بنيوية الظاهرة المدروسة ووظيفتها الاجتماعية، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- Bataillon (M) et alii,(1970), **Rebâtir l'école**, ٤^{ème} éd, Paris ,Ed. Payot.
- Benavente (A),(1993), **De l'autre côté de l'école**, Paris, Ed. New York.
- Coq (G),(2001) "**La démocratie condamne-elle l'école à la crise ?**", in : Boudon [Direction]et alii, **Ecole et société les paradoxe de la démocratie**, 1^{ère} ed, Paris, Ed. P.U.F.
- Darcos, Xavier et Meirieu, Philippe (2003), **Deux voies pour une école**, Paris, Ed. Desclée de Brouwer.
- Deslandes (Rollande),(2004), "**Collaboration famille – école: communauté pour une inclusion réussie** ", in: Nadia Rousseau et Stéphanie Bélanger, [Direction], **La Pédagogie de l'inclusion scolaire**, Canada, Ed. Presses de l'Université du Québec Canada.
- Duru – Bellat, Marie et Zanten, Agnés Van (1999), **sociologie de l'école**, Paris, Ed. Armand Colin.
- Genevieve – Menager, Colbert (1996), **Des élèves en difficulté**, Paris, Ed. L'harmattan.
- Glasman , Dominique et autres, (1992), Collection Pédagogies, **L'école hors l'école : Soutien scolaire et Quartiers** , Paris ,Ed . E.S.F.
- Jean – Yves, Rochex (1995) , **La sens de l'expérience scolaire**, Paris, Ed. P.U.F.
- Kerlan, Alain (1998) , **L'école à venir**, Paris, Ed. E.S.F.
- L. Pauli et M.A. Brimer, **La déperdition scolaire problème mondial**,(1971), Paris – Genève, Une étude préparée par le Bureau International d'Education, Unesco.
- Marie –Luce (Chabauty) ,(2005) , **L'enfant et l'école**, Paris, Ed. Don Boxo .
- Pain, Jacques (2001), **La société commence à l'école : Prévenir la violence ou prévenir l'école ?**, Paris, Ed. Matrice éditions.
- Queiroz (J-M),(1995), **L'école et ses sociologies**, Paris, Ed. Nathan.
- Raveaud, Maroussia (2006), **De l'enfant au citoyen**, Paris, Ed. Presses Universitaires de France.
- Watmacher(H) ,(2002) "**Ethique, valeur et citoyenneté à l'école**", in :Francine Vaniscotte et Pierre Laderrire [Sous Direction], **L'école horizon 2020** , Paris, Ed. L'harmattan.